

الإربعـاء 14-10-2009

775-أن يجد أحدنا الآخر بما يليق بالكائن البشري المعاصر



دراسة في علم السيكوباثولوجي (الكتاب الثاني) لوحات تشكيلية من العلاج النفسي والحياة شرح على المتن: ديوان أغوار النفس

الشغل في المستحيل

تمهيد

تأملت - من جديد - المأزق الذي وجدت نفسي فيه مؤخراً (كما هو حال أغلب الناس من ينتمون إلى ما يسمى "الإنسان المعاصر"، وليس "الإنسان العصري") فوجدت أنه يتآرجح بين تناول العلاقات البشرية بعد أن بلغ هذا الكائن إلى الشقى الرائع: هذه الدرجة من الوعي بنفسه، وبضرورة الآخر شرطاً لتواده بشراً سوياً، أو ما يسمى عادة **الحب** ، وبين ما أسميه **جدل الموت والحياة**، وكلتا القضيتين متجلتين بدرجة الوعي/الأمانة التي تورط فيه هذا الكائن الخاص جداً المسمى الإنسان

اكتشفت أن تناول إشكالية العلاقات البشرية من خلال هذا المتن تحتاج إلى توضيح مبدئي قبل المضي قدماً في ذلك. رحت أكتب مقدمة لهذه الحالة الخامسة فإذا بها تصلح مقدمة للعمل كله:

مقدمة (1)

لللتقي حين نسعى

هذه هي الحالة الخامسة، ويبدو أنها ليست إلا شرحاً على متن الحالة السابقة (الحالة الرابعة: الأسبوع الماضي) ،

لاحظت حتى الآن - للأسف- أن تعريف العلاقات المسماة "الحب" حتى النخاع هكذا، تنتهي إلى ما يشير إلى يأس ما، أو قل، إلى إيماء باستحالة أن يتحاب البشر فيما بينهم بما وصلوا إليه من أزمة "الوعي، والوعي بالوعي" وأضيف الآن: "بما يشمل مسؤولية المشاركة في جدل ثنو الإنسان فرداً ونوعاً".

فكـرتـ أنـ أـتـوقـفـ عـنـ التـمـادـىـ فـتـوصـيلـ رسـائـلـ مـثـلـ هـذـهـ قـدـ تـحـمـلـ فـظـاهـرـهـاـ جـرـعـةـ مـنـ الـيـأسـ أـوـ العـجـزـ لـمـ أـقـصـدـهـاـ أـبـداـ،ـ قـلـتـ أـنـيـهـ القـارـئـ بـعـضـ التـوصـيـاتـ الـتـيـ قـدـ تـعـيـنـتـ عـلـىـ تـوـضـيـحـ ماـ قـصـدـ إـلـيـهـ مـنـ هـذـهـ الـحاـوـلـةـ هـكـذاـ:

أولاً: أنـ يـتـذـكـرـ القـارـئـ أـنـهـ حـاـوـلـ لـفـكـ شـفـرـةـ النـصـ الـبـشـرـىـ بـتـعـبـيرـ الـابـنـ وـالـصـدـيقـ دـمـهـالـ التـرـكـىـ،ـ أـوـ لـعـلـهـ "ـنـقـدـ النـصـ الـبـشـرـىـ"ـ كـمـاـ اـقـرـتـتـ سـابـقاـ،ـ فـهـوـ لـيـسـ حـكـماـ دـامـغاـ

ثـانـيـاـ: أـنـ هـذـاـ عـلـمـ مـرـتـبـتـ بـنـصـ مـحدـدـ هوـ مـنـ شـعـرـىـ كـتـبـ مـنـ 36ـ سـنـةـ،ـ وـيـنـشـرـ كـمـاـ هوـ إـلـاـ مـاـ نـدـرـ مـنـ تـصـحـيـحـ شـكـلـيـ جـمـلـةـ أوـ تـحـديـثـ مـحـدـودـ فـشـطـرـ،ـ ذـلـكـ أـنـيـ رـاعـيـتـ أـنـيـ تـغـيـرـ فـيـ المـنـ

أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ هوـ تـجـاـوزـ لـلـأـمـانـةـ.

ثـالـثـاـ: أـنـ أـعـمـالـ الكـاتـبـ تـكـمـلـ بـعـضـهاـ بـعـضـاـ،ـ فـإـذـاـ وـصـلتـ رسـالـةـ مـثـلـ الرـسـالـةـ الـخـالـيـةـ بـهـاـ هـذـاـ الـقـدـرـ مـنـ التـعـرـيـةـ لـدـرـجـةـ التـلـوـيـحـ بـالـيـأسـ أـوـ الـاستـحـالـةـ،ـ فـهـىـ لـيـسـ فـصـلـ الـخطـابـ،ـ وـمـثـلـ حـرـوفـ وـأـرـقـامـ الشـفـرـةـ (ـالـكـلـمـةـ الـمـفـتـاحـ فـيـ بـرـيـدـ الـلـكـتـوـنـيـ "ـمـيـلـكـ"ـ مـثـلـ)ـ لـاـ يـعـكـرـ أـنـ تـفـتـحـ الشـفـرـةـ إـلـاـ بـاـكـتـمـالـ إـدـخـالـ الـكـلـمـةـ الـمـفـتـاحـ حـرـفـاـ رـقـمـاـ.

رـابـعـاـ: أـنـ يـتـحـمـلـ معـىـ القـارـئـ قـدـرـاـ مـنـ التـكـرارـ،ـ لـاـ يـرـيدـ أـنـ أـلـزـمـ نـفـسـيـ بـتـجـنبـهـ فـيـ الـمـرـحـلـةـ الـخـالـيـةـ،ـ وـآـمـلـ حـينـ يـصـدـرـ هـذـاـ عـلـمـ -ـ إـذـاـ صـدـرـ-ـ فـيـ طـبـعـةـ وـرـقـيـةـ أـنـ خـفـ جـرـعـةـ التـكـرارـ قـلـيلـاـ أـوـ كـثـيرـاـ.

ثـرـىـ: هلـ يـسـطـعـ القـارـئـ الصـدـيقـ أـنـ "ـيـعـلـقـ الـحـكـمـ"

(ـبـلـغـةـ الـفـيـنـوـمـيـنـوـلـوـجـيـاـ)،ـ فـيـفـعـ رـأـيـهـ بـيـنـ قـوـسـيـنـ حـتـىـ يـنـتـهـيـ مـنـ قـرـاءـةـ جـمـلـ كـلـ نـشـرـةـ،ـ وـالـأـصـعـ وـالـأـهـمـ:ـ حـتـىـ يـنـتـهـيـ مـنـ قـرـاءـةـ الـعـلـمـ كـلـهـ،ـ وـالـأـصـعـ جـدـاـ حـتـىـ يـلـمـ بـاـ يـكـملـهـ مـنـ أـعـمـالـ

الـكـاتـبـ الـأـخـرىـ؟ـ

إـنـ مـاـ أـحـاـوـلـ تـوـصـيـلـهـ لـاـ يـنـتـهـيـ جـكـمـ يـحـتـاجـ إـلـىـ تـعـلـيقـ (ـتـعـلـيقـ الـحـكـمـ)ـ بـقـدـرـ مـاـ هوـ دـعـوـةـ لـتـحـرـيـكـ الـوـعـيـ فـيـ اـجـاهـ أـرـىـ

أـنـهـ يـصـلـحـ أـنـ يـجـمـعـنـاـ مـعـاـ كـلـمـاـ مـضـيـنـاـ قـدـمـاـ أـكـثـرـ فـأـكـثـرـ،ـ

وـعـنـدـيـ يـقـيـنـ بـأـنـنـاـ نـلـتـقـىـ حـينـ نـسـعـىـ إـلـىـ أـنـ نـلـتـقـىـ،ـ لـاـ حـينـ

نـلـتـقـىـ فـعـلاـ (ـأـنـظـرـ بـعـدـ)ـ:

مـقـدـمةـ (2)ـ هـذـهـ الـقـصـيـدةـ:

فـرـفـ قـبـلـ الـفـرـوفـ:

هـاـ نـوـجـ الـاشـكـالـةـ فـهـذـاـ الفـرـفـ (1)ـ:

إـنـ أـيـ عـلـقـةـ بـيـنـ إـنـسـانـ وـإـنـسـانـ هـىـ عـلـقـةـ بـيـنـ عـدـةـ أـنـاسـ،ـ

وـعـدـةـ أـنـاسـ أـخـرـ،ـ بـدـاخـلـنـاـ مـعـاـ:

فـهـىـ عـلـقـةـ مـتـشـابـكـةـ مـتـدـاخـلـةـ،ـ بـهـاـ مـنـ التـنـافـسـ (ـوـالـتـنـافـسـ

وـالـمـخـاـوـفـ بـيـنـ الذـواـتـ دـاخـلـنـاـ)ـ بـقـدـرـ مـاـ بـهـاـ مـنـ التـكـاملـ،ـ

وـالـجـدـلـ،ـ

هذا تفسير العنوان الأول الذى تغير إلى العنوان الحالى، العنوان الأول كان كالتى:

"مناورات ومخاوف الذوات داخلنا (في ملعب الحب والحياة)"

أما أنها مناورات ومخاوف فهى كذلك نفياً أن تكون - فقط صراعاً أو سباقاً تنافسياً حاضراً، مع أنها صراع محتمل وتنافس مشروع، علماً بأن المناورات والمخاوف هي خطوات نحو هذا الجدل الواعد.

أما أنها تجرى في ملعب الحب والحياة، فذلك لأن كلمة "الحب" هي التي شاعت أكثر من غيرها في توصيف العلاقات البشرية، فروض مستلهمة من الخطوط العامة للقصيدة:

نشرت في الأسبوع الماضي المستويات العشرة للعلاقات البشرية دون أي تطبيق أو تفصيل، وطلبت التأمل فيها لحين نشر المتن والشرح اليوم،

وهأنذا أعيدها - بعد تعديل طفيف - مع التذكرة بأن القصيدة إنما تقوم بتعرية المستويات الثلاثة الأولى، وإلى درجة أقل المستوى الرابع، وهي:

المستوى الأول: الجذب النداء والأخذاب الذاهل.

المستوى الثاني: اللذة المشتركة بعض الوقت.

المستوى الثالث: اللعب الآخر معاً - أحياناً.

المستوى الرابع: تبادل الاعتمادية

هذه المستويات الثلاثة + واحد، هي التي تعرضها هذه القصيدة بوجه خاص، وللأسف فإنها تقوم بتعرية هذه المستويات بقصيدة باللغة (كما جاء في شرح المتن في نشرها السابق منذ عامين بتاريخ 8 أكتوبر 2007 "من" يجب "من"؟...)

وهذا ما نبهى إلى احتمال الرسالة السلبية التي قد تصل من هذا المتن، حتى لو قمنا بشرحه هكذا دون خذر كاف.

الخوف كل الخوف هو من أن نتوقف عند هذه التعرية وكأننا نرفض هذه المستويات ابتداءً ودائماً، وهذا ضد الطبيعة البشرية الحالية،

وقد ساءلت نفسي عن مدى واقعية المستويات التالية، خاصة أننى وجدت أن المتن الشعري في كل الديوان قد تناولها بأقل القليل، فوجدت أنها مستويات تبدو نظرية أو مستعيلة.

الشعر شعر، ولكن لا نستطيع أن نقيم وصاية عليه حين يتوقف عند مرحلة التعرية ليدفعنا من محاولة تفكيق المستويات التالية مهما بدأ مستحيلة ، وعلى الإنسان العصرى أن يعيش شرف حمنه قصوره عن معايشتها بما تستحق، بما يلزمها بعواصلة السعي

إن الصعوبة حق الاستحالة البدائية ابتداء ليست مبرراً لإنكار الحقائق، ولا للتوقف عن السعي للتحقيق الآمال الواقعية، ومن هنا جاء العنوان "الشغل في المستحبيل" وفيما يلى ما ترائي لى من مستويات لاحقة، (نشرت أيضاً الأسبوع السابق) وذلك مع إضافة قدر محدود جداً من التوضيح هكذا :

المستوى الخامس: انتشار الفرحة تواصلاً إلى خيط من البشر أوسع فأوسع.

(وهذا يحتاج إلى تعرف على مانعنيه بالفرح والفرحة حالة كونهما وسادة المشاركة معاً)

المستوى السادس: جدل النمو .

(فتنتبه إلى أن الجدل الذي يستحبيل التحدث عنه دون اختزاله أو تشويهه ، هو حقيقة ما نمارسه فعلاً دون تسمية، "النكون فتصير" ، رضينا أم لم نرض)

المستوى السابع: إعادة الولادة .

(وهذا ما يجعل تقييمنا للتواصل البشري بما يتبقى منه، وليس فقط بما يتحقق به مؤقتاً)

المستوى الثامن: الامتداد إليهم حمداً.

(فنجد أنفسنا في دائرة الوعي الجمعي، وهو شرط لا بد من توفره يكون القاسم المشترك الأعظم الذي يبرر تحقيقنا أفراداً بشريين)

المستوى التاسع: الألم الخلاق كذحاً إليه.

(ثم تند بنا العلاقة إلى مستويات أعلى فأعلى من الوعي المشتمل، فنجد أنفسنا نعزف اللحن الأرحب مع الطبيعة المنفتحة إلى الوعي الكون المفتوح النهاية إلى وجه الحق تعالى).

المستوى العاشر: إعادة دورة جدل الإيقاع الحيوى في نبضة جديدة على مستوى أعلى، وهكذا .

(غنى عن البيان أن هذا التصعيد ليس خطأ مستقيماً أو درجة بعد درجة، بلقدر ما هو دورات معادة تتقدم مع كل دورة إلى ما تيسر من إمكانية بجعل المستحبيل مكننا مع استمرار الدورات حسب كفاءة الإيقاع الحيوى المفتوح النهاية)

رجعة إلى العنوان الحالى أقول:

الشـغلـ فـيـ المـسـتـحـبـيـلـ

بعد الرجوع إلى مادة "شغل" في المعجم الوسيط اطمأننت إلى استعمالها لوصف ما خطر ببالى وأنا أتناول القضية تلو الأخرى **يـوصـفـ الـاستـحـالـةـ،ـ ثـمـ أـصـرـ عـلـىـ أـنـ نـقـتـحـ الـاستـحـالـةـ** **لـنـقلـبـهاـ اـمـكـانـيـةـ،ـ هـوـ مـاـ أـصـفـهـ أـحـيـاـنـاـ بـ "ـإـمـكـانـيـةـ** **الـمـسـتـحـبـيـلـ"** وهو شرف الكفاح للنكون بشراً،

هذه هي قضيتنا الممتدة بـ الشغل في المستحبـل لـ يجعلـه مـكـنـا -

ـ من نـتـعـامـلـ معـ:

ـ عـدـلـ مـسـتـحـبـلـ (ـ خـنـقـهـ، وـ فـنـسـ الـوقـتـ تـعـقـقـ ماـ تـيـسـرـ مـنـهـ)
ـ قـوـانـينـ مـكـتـوبـةـ خـانـقـةـ خـنـقـةـ، مـعـ أـنـهـ خـطـوـةـ اـفـطـرـارـيـةـ عـلـىـ
ـ الطـرـيقـ اللـهـ)

ـ حـرـيـةـ مـسـتـحـبـلـ (ـ تـزـيـفـهـ وـ تـطـمـسـهـ دـيـقـرـاطـيـةـ عـاجـزـةـ أـوـ
ـ زـائـفـةـ مـعـ أـنـهـ خـطـوـةـ اـفـطـرـارـيـةـ عـلـىـ الطـرـيقـ اللـهـ)

ـ حـبـ مـسـتـحـبـلـ (ـ يـزـجـهـ وـ جـلـ خـلـهـ الـمـسـتـوـيـاتـ "ـ الـثـلـاثـةـ الـأـولـىـ +ـ
ـ وـاحـدـ"ـ، مـعـ أـنـهـ خـطـوـةـ اـفـطـرـارـيـةـ عـلـىـ الطـرـيقـ إـلـيـهـ)

ـ الـحـرـكـةـ، الشـغـلـ، الـكـدـحـ

ـ أـمـاـ لـمـاـذاـ اـسـتـعـمـلـتـ كـلـمـةـ ـ الشـغـلــ، فـهـذـاـ مـاـ قدـ يـجـتـاجـ مـنـ إـلـىـ
ـ شـرـحـ أـخـيرـ يـقـوـلـ:

ـ لـمـ تـعـدـ الـقـيـمـةـ الـجـبـرـةـ تـهـمـنـيـ، بـقـدـرـ مـاـ أـرـيدـ التـأـكـيدـ عـلـىـ
ـ الـعـمـلـيـةـ الـبـارـيـةـ فـيـهـاـ وـهـاـ وـحـوـلـهـاـ

ـ لـاـ يـوـجـدـ شـيـءـ اللـهـ "ـ حـرـيـةـ"ـ، وـإـنـاـ يـوـجـدـ سـعـيـ دـائـمـ لـزـيـادـةـ
ـ جـرـعـةـ مـاـ تـسـرـ مـنـ اـخـرـيـةـ

ـ لـاـ يـوـجـدـ شـيـءـ اللـهـ "ـ الـإـنـسـانـ"ـ، وـإـنـاـ يـوـجـدـ تـطـورـ مـفـتوـحـ
ـ الـنـهاـةـ غـوـ مـاـ عـمـكـ أـنـ يـكـونـ اـنـسـانـ

ـ لـاـ يـوـجـدـ شـيـءـ اللـهـ "ـ الـعـدـلـ"ـ، وـإـنـاـ تـوـجـدـ مـعـادـلـةـ مـتـرـكـعـةـ
ـ لـتـحـقـيقـ أـكـبـرـ قـدـرـ مـاـ التـواـزنـ بـنـ وـحدـاتـ الـوـجـودـ الـمـتـكـافـلـةـ
ـ لـتـعـودـ عـلـىـ الـعـمـيـعـ عـاـيـاـفـ عـلـىـهـاـ وـيـنـمـيـهـاـ مـعـاـ

ـ بـلـ إـنـ الـحـقـ تـبـارـكـ وـتـعـالـيـ لـاـ نـؤـمـنـ بـهـ إـلـىـ حـالـةـ كـوـنـنـاـ
ـ نـتـعـرـفـ عـلـىـهـ بـتـحـرـيـكـ"ـ الـكـدـحـ"ـ اللـهـ

ـ وـعـلـىـ هـذـاـ الـقـيـاسـ

ـ لـاـ يـوـجـدـ شـيـءـ اللـهـ الـحـبـ، وـإـنـاـ يـوـجـدـ شـغـلـ طـوـلـ الـوـقـتـ
ـ لـتـحـقـيقـ تـصـعـيـدـ جـدـلـ خـلـاقـ بـنـ أـفـرـادـ الـبـشـرـ وـجـمـاعـاـهـمـ لـتـلـاحـقـ
ـ مـسـتـوـيـاتـ الـتـوـاـصـلـ فـيـمـاـ بـيـنـهـمـ مـاـ أـمـكـنـ ذـلـكـ، إـلـىـ إـمـكـانـيـةـ
ـ الـمـسـتـحـبـلـ.

ـ يـاـ تـرـىـ سـهـلـتـهـاـ أـكـثـرـ؟ـ أـمـ صـعـبـتـهـاـ لـدـرـجـةـ الـاستـحـالـةـ؟ـ

ـ وـهـلـ أـمـامـنـاـ سـبـيلـ آخـرـ إـلـاـ أـنـ جـعـلـ الـمـسـتـحـبـلـ مـكـنـاـ؟ـ

ـ وـبـعـدـ

ـ آـسـفـ أـنـ أـكـتـفـ بـهـذـهـ الـمـقـدـمةـ الـفـرـوـرـيـةـ،

ـ وـأـعـتـذـرـ بـأـنـ أـعـيـدـ نـشـرـ الـمـقـنـدـ دونـ شـرـحـ (ـ يـكـنـ لـنـ يـرـيدـ بـعـضـ

ـ الـشـرـحـ أـنـ يـعـودـ إـلـىـ نـشـرـةـ 8ـ أـكـتوـبـرـ 2007ـ "ـ مـنـ"ـ يـجـبـ

ـ "ـ مـنـ"ـ...؟ـ")

مع دعوة لخواج أن يشاركتنا القارئ الصديق الصغيرة قبل أن نقدم على التعرية القاسية (للمستويات الأولى على الأكثر) لما هو التواصل البشري البديهي

ولعل في نشر المتن هكذا حرا طليقا، ما يعتذر لهه المقدمة الشائكة التي استغرقت نشرة بأكملها بهدف تخفيف قسوة التعرية ، فإذا بها أشد قسوة (أم ماذا؟)

هل يستطيع هذا المتن خالصاً أن ينسينا كل ما سبق في هذه
المقدمة

یا لیت

الملتقى

وعيون مُكْحولة مُثَدِّية.

تِسْحِر و تِشْدُ.

منديلها على وش المية

مِسْتَنْيٌ تَمْذُ:

إيدك، تسجّبها تروح فيها،

وَلَا مِنْ شَافِ حَذْ.

(1)

ماتكونش يا واد النّداهة؟

حركات الجئية ايها؟

أنا خايف ماللي مانيش عارفة.

أنا شايف إلّي مانيش شايڤه.

وَتَلَاحِظُ خَوْفَ تُطْمَئْنَى.

وتقولي كلام ، قال إيه يعني :

ماتبّصّ جوّه بِزِيادةٍ،

خليك عالقَدْ.

شوف حركة عودي الميادة،

شوف لون الخد

(2)

وأحس بهمْس اللَّى معاها،

أَنْوَى أَقْرَبْ.

وأشوف التانية جُوَاهَا،

أحلى وأطيب.

والخوف يغالبني من ايـاهـا،
لأـ مش خـاهـرـبـ.

والطفلة تشاور وتعافـرـ،
بتقـرـبـ، ولا بـتـتـاخـرـ؟

وانـ مدـيـتـ إـيدـىـ نـاحـيـتهاـ، بـتـخـافـ وـتـكـشـ.

والـتـانـيـةـ تـنـطـ خـلـيـهاـ: تـهـرـبـ فـيـ العـشـ.
دىـ غـيـامـةـ كـيـبـ وـتـغـطـيـةـ، وـمـؤـامـرـةـ غـشـ.

(3)

ومـاصـدقـشـىـ،

ولا اـسـلـمـشـىـ،

أـناـ وـاثـقـ إـنـهـ ماـ مـتـثـشـىـ
أـناـ سـامـعـ هـمـ المـاسـكـشـىـ
مشـ حاجـىـ، لوـ هـيـهـ ماـ جـاتـشـىـ.

(4)

- جـريـ إـيهـ يـاـ أـخـيـناـ؟ عـلـىـ فـيـنـ ؟
خـاتـصـخـىـ النـايـمـ؟ بـضمـانـ إـيهـ"ـ؟
جـرـىـ إـيهـ؟

مشـ عـاجـبـكـ رـسـىـ لـحـواـجـىـ، وـلـأـونـ الرـوـجـ؟
مشـ عـاجـبـكـ تـذـكـرـةـ الرـتـسوـ، وـلـأـحقـ اللـوـجـ؟
ماـ كـفـاـكـشـىـ زـوـاقـ الـبـابـ؟
هـيـهـ وـكـالـةـ منـ غـيرـ بـوـابـ؟
أـناـ مـشـ نـاقـصـةـ التـقـلـيـبـ دـيـةـ،
وـلـأـ فيـشـ جـوـاـيـاـ "ـالـبـوشـ هـيـةـ"ـ،
وـلـأـ فيـهـ بـئـوتـةـ بـمـرـاـيـهـاـ،
وـلـأـ فيـهـ عـيـلـ مـاسـكـ دـيـلـهـاـ،

(5)

إـوعـىـ تـخـطـىـ، أـبـعـدـ مـئـىـ، حـاتـلـقـيـ الـهـبـ.

البيت دا ما لوْهشى اصحابِ.
دُولَ سَافَرُوا قَبْلِ مَا يَيِّجُوا.
من يوْمٍ ما بَنَيْنَا السُّدْ:
السُّدْ الجَوَافِي التَّابِيِّ.
وَانْ كَانْ مش عاجِبُكْ، سَدَى الْبَرَانِيِّ.
تبقى فَقْسَتِ اللَّعْبَةِ،
وَمَانِشِ لَاعِبَةِ.

(6)

دُورٌ عَلَى وَاحِدَةٍ تَكُونُ هَبْلَهُ،
بِتَسْوِرٍ مِنْ خَصْوَهُ نِبْلَهُ.
تَدِيلُك قَلْبَ الْخَسَايَهُ !!
وَمَالْكَشِي دَعْوَهُ بِحُوايَهُ

• • • •

يَا مَا كَانَ نَفِسِي،
بِسْ يَارُوْخْ قَلِي "مَا يُحَكْمَشِي".